

التَّمْهِيدُ:

الطِّفْلُ جُزْءٌ مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَهُوَ أَسَاسُهُ الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ الْمُسْتَقْبَلُ الَّذِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ آمَالُ الْوَطَنِ وَطُمُوحَاتُهُ فِي أَبْنَائِهِ الْبُنَاةِ لَهُ، وَمِنْ الْمَجْدِي جَدًّا أَنْ يُرْعَى الطِّفْلُ رِعَايَةً خَاصَّةً مِنْ أَجْلِ بِنَائِهِ بِنَاءً سَلِيمًا بَدَنِيًّا وَعَاطِفِيًّا وَنَفْسِيًّا لِكِي نَضْمَنَ مُسْتَقْبَلَ الْوَطَنِ وَمِنْ أَجْلِ مُجْتَمَعٍ تَسْوَدُّهُ الْمَحَبَّةُ وَالاحْتِرَامُ وَيَخْلُو مِنَ الْأَمْرَاضِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا.

المفاهيمُ الْمُتَضَمَّنَةُ:

- مفاهيمُ اجتماعية
- مفاهيمُ نفسية
- مفاهيمُ دينية
- مفاهيمُ لغوية
- مفاهيمُ حقوقِ الطفل
- مفاهيمُ تربوية
- مفاهيمُ أدبية



ما قبل النص

هل تترتب آثارٌ بدنية على العنف الذي يتعرض له الطِّفْلُ؟

الدَّرْسُ الأوَّلُ: المِطَالَعَةُ / أبنائنا المسؤوليَّةُ المقدَّسةُ

يُعَدُّ استعمال الأساليب غير الإيجابية في التَّعاملِ مثل الشَّدَّةِ أمرًا مرفوضًا في المُجتمع الإنساني، ولكنَّه ظاهرةٌ تفرَضُ نفسُها على الواقع، ولها آثارُها، وعادةً يكونُ هذا باللُّوم والتَّقْرِيع.

أمَّا في إطار الأسرة، فقد تكونُ أيضًا من أشكالِ السَّيطرة وفرض الرأْي على الأبناء بطريقتيَّةٍ حادَّةٍ تخلو من النَّقاش والحوار ربَّما وصلت إلى مَرَحَلَةٍ الإكراه والتَّعَصُّب، والتَّمييز بين الذَّكَر والأنثى، وعقد موازنة بينَ الطفل وأقرانه من إخوته أو المحيطين به، ولومِه؛ لأنَّه لا يَتمتع بما يَتمتعون به من سِماتٍ أو مُميزاتٍ، وهذا قد يكونُ بالدرجَّة الأساس من باب الحرص والحُبِّ الشديدين من الوالدين لأبنائهم؛ غير متنبهين إلى حقيقة أنَّ الأبناء أبناء زمنٍ آخر، ولكلِّ زَمَنٍ مُقتضياتُه ونِعَمُ القَوْل ما قاله الإمام عليُّ (عليه السَّلام) في هَذَا المَقَام: ((لَا تَفْسُرُوا أولادَكُمْ على آدابِكُمْ فَإِنَّهُمْ مخلوقون لِزَمَانٍ غيرِ زَمَانِكُمْ)).

والنَّظرياتُ الَّتِي فَسَّرتْ ظاهرةَ استعمال الأساليب غير الإيجابية في التَّربية مثل الشَّدَّةِ مع الأبناء مُتعدِّدة، لكنَّ الأبيئةَ الحَاضنةَ للفردِ هي المؤثِّرُ الأوَّلُ في سلوكِه، فهو يتأثَّرُ بمحيطِه وبالأُسرةِ والمُجتمع، ومن ثَمَّ تَنشَكُلُ لديه أفكارٌ، ويَتَبَنَّى مُعتقداتٌ معيَّنة تدفعُه نحو التَّصرفِ على هذا النحو في داخلِ أُسرَتِه؛ ولاسيَّما مع أطفالِه.

ويَتَّخِذُ بعضُ الأشخاصِ هذا السَّبيلَ غيرَ الإيجابيِّ تجاهَ أطفالِهِم سواء أكان يهدفُ تَأديبَهُم بحسبِ اعتقادِهِم، أم لتعرضِهِم إلى ضغوطٍ حياتيَّةٍ، تجعلُهُم يفقدونَ السَّيطرةَ والتَّحكُّمَ في أعصابِهِم ويُنْسَ الفِعلُ هَذَا؛ لِما يتوقَّفُ عَلَيهِ من آثارٍ نفسيَّةٍ بعيدة المَدَى لدى الأطفالِ، الأمرُ المؤكَّدُ أنَّ استعمالَ الشَّدَّةِ المفرطةِ مرفوضٌ تمامًا تجاهَ الأطفالِ مهما كان نوعُه أو حَدُّثُه أو تَكَرُّرُه، فهناك أساليبٌ كثيرةٌ تُؤدِّي إلى تَعديلِ السُّلوكِ من دون أيِّ إِساءةٍ تُوجَّهُ إلى الأطفالِ، وهناك آثارٌ من المُتوقَّعِ حَدُوثُها عِنْدَ التَّعاملِ السَّلبِيِّ مع الطِّفْلِ جَسَدِيًّا ونَفْسِيًّا، وقد تَظْهَرُ بالمُستقبلِ، مِنْها الآثارُ المرتبطةُ بالصَّحَّةِ الجَسَدِيَّةِ، كمشكلاتِ المِناعَةِ، وكذلك صعوباتُ مُرتبطةُ بالصَّحَّةِ النَفْسِيَّةِ والعَقليَّةِ، والإِصابةُ ببعضِ الاضطراباتِ السُّلوكيَّةِ والنَفْسِيَّةِ ومشكلاتٍ في الذَّاكرةِ والتَّركيزِ وضَعْفٍ في اتِّخاذِ القَراراتِ وإيذاءِ الذَّاتِ أو المُحيطِ.

وقد يتحوّل هذا الطّفْل إلى رَاشِدٍ يُفَضِّلُ الشّدّةَ مع أطفاله بوصفها أسلوباً في التّربية قد يراه الأفضل؛ لأنّه تربّى على هذا النّحو يوماً ما.

ومن الجدير بالذكر أنّه قد يتحوّل إلى شخصيّة مُنطويّة على ذاتها وغير واثق بنفسه، قليل الكلام سريع البكاء والغضب، فاقد الإحساس بالأمان والاستقرار، وربّما دَخَلَ في اضطرابات نفسيّة مثل اكتئاب الطّفولة، والقلق، وانخفاض مفهوم الذات، ومشكلات تظهر في المدرسة، فمن الممكن أن يتأثّر تحصيله الجامعي، ويُعاني ضعفاً في إنشاء العلاقات، ولا بدّ أن يتخذ المعنيون كالأقارب والمجتمع والدولة الإجراءات المناسبة لعلاج هذا الأسلوب في التربية ووقفه، وإرشاد الأهل إلى عدم الاستمرار به بحجّة أنّه والد الطّفْل أو والدته؛ لأنّ الشّدّة في التربية لا تُسوِّغ أبداً ولا حبّاً هي، ولكي نعالج هذه الظّاهرة لا بدّ أولاً من اتّباع سبل الوقاية للحدّ من حدوث هذا النوع من التّعامل مع الأبناء، ويتمثّل الأمر بالآتي:

- القيام بحملات توعية تحتوي على برامج خاصّة تُحذّر أخطار هكذا سلوك تجاه الأطفال، وتذكّر بالقوانين والتشريعات المتعلّقة بحماية الطّفْل والأسرة.

- عقد دورات للمقبلين على الزواج بهدف تهيئتهم للحياة الزوجيّة، وتبني لهم أسساً وقواعد تُحافظ على تماسك أسرهم وتكسبهم بعض الخبرة في حلّ المشكلات التي من المتوقّع أن تحصل بينهم أو من الممكن أن يواجهوها مع أطفالهم في المستقبل. ويمكن في حال استعمال الشّدّة في تربية الأطفال أن تتخذ إجراءات لعلاج هذه المشكلة المؤلمة وتخطيها، ومنها:

- أوّل خطوة نحو العلاج هي وقف هذا السلوك، وإحاطة الطّفْل بقدر كبير من الحبّ والحنان، وهذا ما توصي به الدّراسات الحديثة، في حين جاء ذلك عند العرب في ظلّ حضارتهم الإسلاميّة التي سبّقت الموائيق الدّوليّة الحديثة بقرون، فقد أكّد الإسلام هذه الحقيقة وأوصى بالطّفْل خيراً وقدّم نصائح وإرشادات في تربيته، ومن ذلك تقبيله وإظهار الحبّ والاهتمام به، والروايات بيّنت نتائج تقبيل الطّفْل والبرّ به من باب حتّ الناس على تربية صالحة وأسرة متماسكة بالحبّ والاحترام والرّفق والشفقة، فبيّنت أنّ من يقبل طفله تُكتب له حسنة، فقد ورد عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): (من قبل ولده كتب الله له حسنة)، وتُكتب له درجة في الجنّة، وحتّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) على البرّ بالطّفْل وقد روي في المأثور: ((برّوا أولادكم وأحسنوا إليهم؛ فإنهم

يَظُنُّونَ أَنَّكُمْ تُرْزُقُونَهُمْ)) و ((مَنْ فَرَّحَ طِفْلاً فَرَّحَهُ اللَّهُ))، وإدخال الفرحِ على الطِّفْلِ يكونُ بِطريقةٍ ماديةٍ،

في أثناء النَّصِّ

لَا حِظَّ مَا جَاءَ فِي النَّصِّ: ((بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ يُسْتَحَبُّ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (التَّصَابِي) لِلصَّبِيِّ وَالنُّزُولُ إِلَى مُسْتَوَى (عُمُرِ الطِّفْلِ)) فَإِنَّ صِفَةَ (التَّصَابِي) فِي نَفْسِهَا مَذْمُومَةٌ إِذَا صَدَرَتْ مِنَ الْكَبِيرِ أَمَامَ النَّاسِ مِنْ كِبَارِ السَّنِّ، لَكِنَّهَا مَمْدُوحَةٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ بِوَصْفِهَا وَسِيلَةً تَرْبُويَّةً تَبْعَثُ النَّقَّةَ فِي نَفْسِ الطِّفْلِ، وَتَمْنَحُهُ حُبًّا كَبِيرًا مِمَّا يَكُونُ لَهَا أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِيمَا بَعْدُ فِي شَخْصِيَّتِهِ.

و طَرِيقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ كَالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ أَيْضًا وَهِيَ الْأَهَمُّ لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ بَعِيدِ الْمَدَى فِي نَفْسِهِ، كَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْسَحُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَطْفَالِ وَفِي ذَلِكَ تَأْثِيرٌ نَفْسِيٌّ يَبْعَثُ الرَّاحَةَ فِي نَفْسِهِمْ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ يُسْتَحَبُّ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (التَّصَابِي) لِلصَّبِيِّ وَالنُّزُولُ إِلَى مُسْتَوَى عُمُرِ الطِّفْلِ، وَقَدْ اسْتَوْصَى نَبِيُّنَا بِالْأَطْفَالِ خَيْرًا، فَهُوَ الْقَائِلُ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا)) فَمَا أَرْحَمَ دِينُنَا! وَمَا أَرْحَمَ نَبِيِّهُ!

وَمِنْ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ أَيْضًا الْمُتَابَعَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِلطِّفْلِ الَّذِي تَعَرَّضَ إِلَى أَسَالِيبِ تَعَامُلٍ سَلْبِيَّةٍ سِوَاكَ أَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْاِخْتِصَاصِيِّ، أَمْ مِنْ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ. وَحَبْدًا هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ، فَلْنَتَذَكَّرْ دَائِمًا أَنَّنَا مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَطْفَالِنَا، فَهُمْ مَسْئُولِيُنَا الْمُقَدَّسَةُ، وَلَهُمْ عَلَيْنَا حُسْنُ التَّرْبِيَةِ وَتَوْفِيرُ كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَغَمْرُهُمْ بِالْحُبِّ وَالْعَطْفِ وَالتَّسَامُحِ، وَأَنْ نَكُونَ لَهُمْ مَصْدَرُ الْأَمَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالْمَلْجَأِ الدَّافِي وَالْحِضْنِ الْحَنُونِ.

ما بَعْدَ النَّصِّ

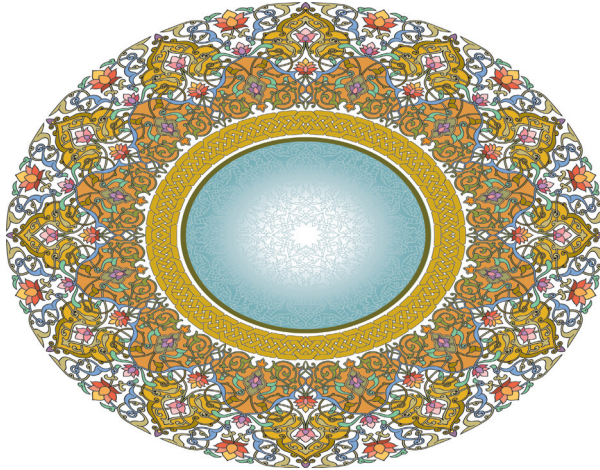
- المَوَاقِفُ: جمعُ مِيقَاتٍ وَهِيَ الْعُهُودُ وَالاتِّفَاقِيَّاتُ.
- التَّوَعِيَّةُ: جعلُ الأفرادِ يدركونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ.
- اسْتَعْمَلْ مُعْجَمَكَ لِإِجَادِ مَعَانِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ:
الشَّدَّةُ - الحَضَارَةُ.

نشاط:

وَرَدَ فِي نَصِّ الْمَطَالَعَةِ صِيغَةٌ لِلتَّعْجُبِ، ذُلَّ عَلَيْهَا، مَبِينَا الْفِعْلَ الَّذِي اشْتَقَّتْ مِنْهُ

نشاط الفهم والاستيعاب:

فِي ضَوْءِ قِرَاءَتِكَ نَصِّ الْمَطَالَعَةِ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبَيِّنَ مَكَانَةَ الطِّفْلِ فِي الْإِسْلَامِ؟



أَسْئَلُوبُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ

مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تُودَى بِطَرَائِقَ خَاصَّةٍ، وَلَهُ أَفْعَالٌ خَاصَّةٌ، فَأَنْتَ - عزيزي الطالب - إذا أردت أن تَمْدَحَ استعملت أَفْعَالَ الْمَدْحِ وَهِيَ (نِعَمْ، وَحَبَّذَا)، وإذا أردت أن تَذَمَّ استعملت أَفْعَالَ الذَّمِّ وَهِيَ (بِئْسَ، وَلَا حَبَّذَا)، وَيَأْتِي بَعْدَ فِعْلِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ اسْمَانِ مَرْفُوعَانِ، أَحَدُهُمَا الْفَاعِلُ وَالثَّانِي الَّذِي خَصَصْتَهُ بِالْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ، فَلَوْ قُلْنَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ:

نِعَمْ الرَّجُلُ مُحَمَّدٌ

بِئْسَ الرَّجُلُ أَبُو لَهَبٍ

هُنَاكَ فِعْلٌ آخَرُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الذَّمِّ وَهُوَ الْفِعْلُ (سَاءَ) فَهُوَ كـ (بِئْسَ وَلَا حَبَّذَا) كَقَوْلِنَا: (سَاءَ الرَّجُلُ أَبُو لَهَبٍ)، وَ (سَاءَ الْفِعْلُ النَّمِيمَةُ)، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)) (المائدة: ٦٦).

لَنلاحظنا أَنَّ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ صُدِّرَتَا بِفِعْلِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَهُوَ (نِعَمْ) لِإِنْشَاءِ الْمَدْحِ، وَفِي الثَّانِيَةِ (بِئْسَ) لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ، وَجَاءَ بَعْدَ الْفِعْلَيْنِ اسْمَانِ مَرْفُوعَانِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى (الرَّجُلُ) وَفِي الثَّانِيَةِ أَيْضًا (الرَّجُلُ)، وَهُوَ فَاعِلٌ

لِفِعْلِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَالاسْمُ الثَّانِي الْمَرْفُوعُ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى (مُحَمَّدٌ) وَفِي الثَّانِيَةِ (أَبُو لَهَبٍ) وَهُمَا مَرْفُوعَانِ، وَهَذَانِ الْاسْمَانِ هُمَا الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ أَوْ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ؛ إِذْ إِنَّكَ حِينَ تَمْدَحُ أَوْ تَذَمُّ تَخْصُ شَخْصًا أَوْ شَيْئًا بِذَلِكَ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ.

الآنَ عُدْ إِلَى نَصِّ الْمُطَالَعَةِ تَجِدِ الْجُمْلَةَ الْآتِيَةَ:

١ - نِعَمْ الْقَوْلُ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ...

٢ - حَبَّذَا هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتُ

٣ - بِئْسَ الْفِعْلُ هَذَا...

٤ - لَا حَبَّذَا هِيَ...

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تُصَدِّرُهَا فِعْلٌ لِلْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ، فَالْجُمْلَتَانِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ لِلْمَدْحِ، بُدِئَتْ بِفِعْلِ الْمَدْحِ (نِعَمَ) وَالْفِعْلُ (حَبَّذَا) وَهُمَا فِعْلَانِ جَامِدَانِ لَا يَتَصَرَّفَانِ، وَجَاءَ الْفَاعِلُ بَعْدَ الْفِعْلِ (نِعَمَ) وَهُوَ (الْقَوْلُ) وَ(ذَا) لِلْفِعْلِ

فائدة

الْفَاعِلُ (ذَا) فِي فِعْلِ الْمَدْحِ (حَبَّذَا) وَفِعْلِ الذَّمِّ (لَا حَبَّذَا) يَكُونُ لِلْمَفْرَدِ وَلِلْمُتَنَّى وَلِلْجَمْعِ، وَلِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ، مِثْلُ: (حَبَّذَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ) وَ(حَبَّذَا الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ) وَ(حَبَّذَا الرَّجُلَانِ الصَّالِحَيْنِ) وَ(حَبَّذَا الْمَرْأَتَيْنِ الصَّالِحَتَيْنِ) وَ(حَبَّذَا الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ)...

(حَبَّ)، أَمَّا الْجُمْلَةُ الرَّابِعَةُ فَفِيهَا الْفِعْلُ (لَا حَبَّذَا) وَهُوَ لِلذَّمِّ وَفَاعِلُهُ (ذَا) وَهُوَ اسْمُ إِشَارَةٍ، وَهُوَ دَائِمًا يَكُونُ مُتَّصِلًا بِالْفِعْلِ (حَبَّ)، ثُمَّ جَاءَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ فِي الْجُمْلَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ كَالْآتِي: (مَا) اسْمُ الْمَوْصُولِ، وَ(هَذِهِ). أَمَّا الْجُمْلَتَانِ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِمَا فِعْلُ الذَّمِّ مُتَصَدِّرًا الْجُمْلَتَيْنِ وَهُمَا (بُئْسَ) وَ(لَا حَبَّذَا)، وَالْفَاعِلُ مَعَ الْفِعْلِ

(بُئْسَ) هُوَ كَلِمَةُ (الْفِعْلِ)، أَمَّا الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ فَهُوَ (هَذَا)، وَالْفَاعِلُ مَعَ الْفِعْلِ (لَا حَبَّذَا) هُوَ اسْمُ الْإِشَارَةِ (ذَا)، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ الضَّمِيرُ (هِيَ). مِنْ ذَلِكَ تَنْبَيُّنُ لَنَا صُورُ الْفَاعِلِ فِي جُمْلَةِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ وَهِيَ عَلَى النُّحُو الْآتِي:

١ - اسْمُ ظَاهِرٍ مُعَرَّفٍ بِ(ال):

مِثْلُ جُمْلَةِ النَّصِّ: (نِعَمَ الْقَوْلُ...)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)) (سُورَةُ ص: ٣٠) فَرِ الْعَبْدُ هُوَ فَاعِلُ الْفِعْلِ (نِعَمَ) اسْمُ ظَاهِرٍ مُعَرَّفٍ بِ(ال)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((بُئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ)) (الْحَجَرَات: ١١).

٢ - اسْمُ ظَاهِرٍ مُضَافٍ إِلَى الْمُعَرَّفِ بِ(ال)

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بُئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ)) (الْجُمُعَةُ: ٥) فَالْفَاعِلُ هُوَ (مَثَلُ) اسْمُ ظَاهِرٍ مُضَافٍ إِلَى مُعَرَّفٍ بِ(ال) وَهُوَ (الْقَوْمُ)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ)) (النَّحْل: ٢٩).

٣- أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا وَجُوبًا مُفسَّرًا بِكِرَةِ مَنْصُوبَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ
كقوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا))
(الكهف: ٥٠) ففاعل (بئس) ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو)، بدلاً: تمييز منصوب
للفاعل المستتر في فعل الذم (بئس)، وكقولنا: (نعم شاعراً زهيراً).

٤- اسم موصول كقوله تعالى: ((إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمًا هِيَ)) (البقرة: ٧١) فقوله
(نعمًا) مؤلف من كلمتين الأولى فعل المدح (نعم) والثانية فاعله (ما) وهو اسم موصول
في محل رفع، وكقوله تعالى: ((وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (المائدة: ٦٢) وكقولنا: نعم من ترجوه الله، وقولنا: نعم
من تجالسهُ الصادق.

وَلَوْ أَعَدَّتِ النَّظَرَ فِي النَّصِّ الْمُتَقَدِّمِ فِي أَعْلَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ
سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)) (سورة ص: ٣٠) للاحظت أن الفاعل ذكر وحده بعد
الفعل (نعم)، ولم يذكر المخصوص بالمدح بعد فعل المدح، فهو محذوف لدلالة الكلام
المتقدم عليه، وتقدير الكلام: نعم العبد سليمان، وهو كثير، ومثل ذلك قوله تعالى: ((لَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) (النور: ٥٧)
والتقدير: بئس المصير النار.

الآن نتعرف إلى إعراب الاسم المخصوص بالمدح أو الذم مع الفعلين (نعم وبئس)،
ففي إعرابه وجهان:

الأول: أن يُعْرَبَ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ محذوف وجوباً. الثاني: أن يُعْرَبَ مُبْتَدَأً مؤخرًا، والجُمْلَةُ
الفعلية المتقدمة عليه في محل رفع خبر مقدم. نعم الرجل محمد
نعم: فعل ماضٍ لإنشاء المدح مبني على الفتح، الرجل: فاعل مرفوع وعلامة رفعه
الضمة الظاهرة على آخره، محمد: خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره (هو محمد)
مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

أو يُعْرَبَ: محمد، مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره،
وجُمْلَةُ (نعم الرجل) من الفعل والفاعل في محل رفع خبر مقدم.

أما إذا تقدم المخصوص بالمدح أو الذم على الفعل والفاعل فيُعْرَبَ مُبْتَدَأً، والجُمْلَةُ
الفعلية بعده في محل رفع خبر، كقولنا: (محمد نعم الرجل) محمد: مبتدأ مرفوع

وعلامة رفعه الضمة، نَعَمْ: فعلٌ ماضٍ لإنشاء المَدْح مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ، وَالرَّجُلُ: فاعِلٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. وجمله (نَعَمْ الرَّجُلُ) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرٌ.
أَمَّا إِغْرَابُ الْمَخْصُوصِ مَعَ (حَبَّذَا) و(لَا حَبَّذَا) فَهُوَ مُبْتَدَأٌ وجمله (حَبَّذَا) و(لَا حَبَّذَا) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ.

وَلَا يَتَقَدَّمُ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ عَلَى (حَبَّذَا وَلَا حَبَّذَا).
بَقِيَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ الْفَعْلَيْنِ (نَعَمْ، وَبُئْسَ) يَجُوزُ أَنْ تَتَّصِلَ بِهِمَا تَاءُ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةُ إِذَا كَانَ الْفَاعِلُ مُؤَنَّثًا، مِثْلُ: (نِعِمَّتِ الْمَرْأَةُ فَاطِمَةُ)، وَ(بُئْسَتِ الْمَرْأَةُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ).
نِعِمَّتْ: نَعَمْ، فِعْلٌ ماضٍ لإنشاء المَدْح مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ، وَالتَّاءُ تَاءُ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةُ وَحُرِّكَتْ بِالْكَسْرِ لِلتَّخْلُصِ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ... الخ
وَلَا تَلْحَقُ هَذِهِ التَّاءُ الْفَعْلَيْنِ (حَبَّذَا وَلَا حَبَّذَا).

خلاصة القواعد:

- ١- اسْلُوبُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْأَسَالِيبِ اللُّغَوِيَّةِ، يُؤَدَّى بِأَفْعَالٍ جَامِدَةٍ لَا تَتَصَرَّفُ، فَالْمَدْحُ أَفْعَالُهُ (نَعَمْ، وَحَبَّذَا)، وَالذَّمُّ أَفْعَالُهُ (بُئْسَ، وَلَا حَبَّذَا).
- ٢- يَكُونُ الْفَاعِلُ نَعَمْ وَبُئْسَ فِي جُمْلَةِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ:
 - أ- مُعَرَّفًا بـ(ال).
 - ب- مُضَافًا إِلَى الْمُعَرَّفِ بـ(ال).
 - ج- ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا وَجُوبًا مُمَيَّزًا بِنَكْرَةٍ د- اسم موصول.
- ٣- يُعْرَبُ الْأِسْمُ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ (نَعَمْ، أَوْ بُئْسَ):
 - أ- خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ وَجُوبًا.
 - ب- مُبْتَدَأُخْبَرُهُ جُمْلَةٌ (نَعَمْ-) أَوْ (بُئْسَ-).
 - ج- وَإِذَا تَقَدَّمَ الْمَخْصُوصُ أُعْرِبَ مُبْتَدَأُخْبَرُهُ جُمْلَةٌ (نَعَمْ) وَ(بُئْسَ).
- ٤- يَكُونُ فَاعِلُ (حَبَّذَا) وَ(لَا حَبَّذَا) مُقْتَرَبًا بِهِمَا وَهُوَ اسْمُ الْإِشَارَةِ (ذَا) دَائِمًا، وَالْمَخْصُوصُ يُعْرَبُ مُبْتَدَأً مُؤَخَّرًا، وَجُمْلَةُ (حَبَّذَا) تُعْرَبُ خَبَرًا مُقَدَّمًا، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْمَخْصُوصِ عَلَيْهِمَا.
- ٥- يَحذف مخصوص (نعم وبئس) عند وجود دليل يدل عليه.

تقويم اللسان:

(رُبَّمَا لَنْ يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ) أَمْ (لَنْ يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ، أَوْ قَدْ لَا يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ)؟
قُلْ: لَنْ يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ، أَوْ قَدْ لَا يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ
وَلَا تَقُلْ: رُبَّمَا لَنْ يَأْتِيَ الْمُدْرَسُ.
السَّبَبُ: لِأَنَّ (رُبَّمَا) وَ(لَنْ) لَا يَجْتَمِعَانِ.

حَلَّلْ وَأَعْرِبْ

(بُسَّتِ الْمَرْأَةُ حَمَالَةً الْحَطَبِ)

تذكر

أَنَّ الْفِعْلَ الْمَاضِيَ يُبْنَى عَلَى الْفَتْحِ إِذَا لَمْ يَتَّصِلْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الضَّمَائِرِ أَوْ اتَّصَلَتْ بِهِ تَاءُ التَّانِيثِ السَّاكِنَةُ، وَأَنَّ تَاءَ التَّانِيثِ السَّاكِنَةَ إِذَا التَقَتْ بِسَاكِنٍ تُحْرَكُ بِالْكَسْرِ تَخْلُصًا مِنْ ذَلِكَ.

تعلمت

أَنَّ فِعْلَ الذَّمِّ بِئْسَ جَامِدٌ لَا يَتَصَرَّفُ، وَأَنَّ فَاعِلَهُ يَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَشْكَالٍ مِنْهَا: الْمَعْرِفُ (بال)، وَأَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالْمَدْحِ لَهُ وَجْهَانِ مِنَ الْإِعْرَابِ إِذَا تَأَخَّرَ.

الإِعْرَابُ:

بُسَّتِ: فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ. وَالتَّاءُ تَاءُ التَّانِيثِ السَّاكِنَةُ.

الْمَرْأَةُ: فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى آخِرِهِ.

حَمَالَةً: خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ (هِيَ) مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى آخِرِهِ. وَهُوَ مُضَافٌ وَالْحَطَبُ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْكَسْرَةُ الظَّاهِرَةُ فِي آخِرِهِ.

أَوْ: حَمَالَةً، مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ، وَالْحَطَبُ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْكَسْرَةُ الظَّاهِرَةُ فِي آخِرِهِ، وَجُمْلَةُ (بُسَّتِ الْمَرْأَةُ) فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ.

الحطب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره.

حَلَّلْ وَأَعْرِبْ

لَا حَبْذَا الْارْهَابُ.

التمرين (١)

وَرَدَ فِي النُّصُوصِ الْكَرِيمَةِ التَّالِيَةِ أُسْلُوبُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، ذَلَّ عَلَى جُمْلَتَيْهِمَا، مُبَيَّنَّا الْفَاعِلَ وَالْمَخْصُوصَ:

- ١- قال تعالى: ((أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)) (آل عمران: ١٣٦)
- ٢- قال تعالى: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) (آل عمران: ١٧٣)
- ٣- قال تعالى: ((وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) (الأنفال: ٤٠).
- ٤- قال تعالى: ((جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)) (الرعد: ٢٣-٢٤).
- ٥- قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْفَرَارُ)) (إبراهيم: ٢٨-٢٩)
- ٦- قال تعالى: ((قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) (الحج: ٧٢)
- ٧- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ يَبْسُ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا يَبْسُ الْبِطَانَةِ)).
- ٨- إِنَّ رَجُلًا قَالَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَبْسُ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((نِعْمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لِمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَحِلَّهَا، وَبِئْسَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لِمَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا وَحِلَّهَا تَكُونُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةً وَنَدَامَةً)).

التمرين (٢)

- أ- امدَحْ بـ(نِعْمَ) مَرَّةً، وَبـ(حَبَّذَا) مَرَّةً أُخْرَى، مُسْتَعْمِلًا الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةَ، وَجَاعِلًا إِيَّاهَا مَخْصُوصًا بِالْمَدْحِ:
الكتاب، الحشد الشعبى، الدعاء، بغداد، صله الرحم، التسامح، القناعة.

ب- ذَمَّ بـ(بئس) مرة، وبـ(لاحبذا) مرة أخرى، مستعملا الكلمات التالية، وجاعلا إياها مخصوصا بالذَمِّ
الإرهاب، التثمر، جلساءُ الشَّوْءِ، الطَّمَع، صديقُ الرَّخاءِ، الكتُبُ غيرُ النَّافِعَةِ.

التمرين (٣)

((إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا أَرَادَ بِالنَّاسِ صَلاَحًا - وَهُوَ نِعَمَ الْمُرِيدِ - وَلَّى عَلَيْهِمْ صُلَحَاءَهُمْ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ فُقَهَاءَهُمْ، وَجَعَلَ الْمَالَ فِي سُمْحَائِهِمْ وَنِعَمَ النَّاسِ السُّمَحَاءِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا وَلَّى عَلَيْهِمْ سُفَهَاءَهُمْ - وَبئسَ الْوَلَاةُ - وَقَضَى بَيْنَهُمْ جُهْلَاءَهُمْ - وَلَا حَبْذَا الْجُهْلَاءِ - وَجَعَلَ الْمَالَ فِي بُخْلَائِهِمْ - وَبئسَ رَجَالًا - وَإِنَّ مِنْ صَلاَحِ الْوَلَاةِ أَنْ يَصْلَحَ قَرْنَاهُمْ)).
استخرجْ مِنَ النَّصِّ كُلَّ أُسْلُوبٍ مَدْحٍ وَبَيِّنْ فَاعِلَهُ وَالْمَخْصُوصَ بِالْمَدْحِ، وَكُلَّ أُسْلُوبٍ ذَمٍّ وَبَيِّنْ فَاعِلَهُ وَالْمَخْصُوصَ بِالذَّمِّ.

التمرين (٤)

ذُلٌّ عَلَى أُسْلُوبِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ، مُبَيِّنًا الْفَاعِلَ وَالْمَخْصُوصَ بِهِمَا.
١- قَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ:

بئسَ الْخَلَائِفُ بَعْدَنَا
أولادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَاحُ

٢- قَالَ زُهَيْرٌ:

وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا
دَعَيْتَ: نَزَالٍ وَلَجَّ فِي الدَّعْرِ

٣- قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ:

لَنْ فَخَرْتُ بِآبَاءِ ذَوِي حَسَبٍ
لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بئسَ مَا وَلَدُوا

٤- قَالَ هَارُونَ بْنُ عَلِيٍّ الْمَنُجَم:

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى
غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

٥- قَالَ مُحَمَّدُ سَامِي الْبَارُودِيِّ

يَا حَبْذَا نَسَمٍ مِنْ جَوْهَا عَبَقٍ
يَسْرِي عَلَى جَدُولٍ بِالْمَاءِ دَفَاقٍ

التمرين (٥)

أَعْرَبُ مَا تَحْتَهُ خَطٌّ إِعْرَابًا مُفَصَّلًا:

فَنَعَمَ صَدِيقُ الْمَرْءِ مَنْ كَانَ عَوْنُهُ
وَبئسَ أَمْرًا مَنْ لَا يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ

النَّثَرُ وَفُنُونُهُ

درست فيما سَبَقَ مِنْ وَحَدَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الشَّعْرَ، وَهُوَ النَّوعُ الْأَوَّلُ مِنْ نَوْعِي الْأَدَبِ، وَسَتَدْرُسُ بَدْءًا مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ (النَّثَرِ)، وَهُوَ النَّوعُ الثَّانِي، وَيُسَمَّى بِالنَّثَرِ الْفَنِّيِّ وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنِ النَّثَرِ الْإِعْتِيَادِيِّ (غَيْرِ الْفَنِّيِّ) الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ كُلَّ يَوْمٍ فِي كَلَامِهِمْ أَوْ فِي الْمَقَالَاتِ الصَّحَفِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْأَخْبَارِ بَانَوَاعِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، أَوْ فِي الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ أَوْ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا لَا يَتَطَلَّبُ أَسْلُوبًا مُؤَثَّرًا.

وَيَضُمُّ النَّثَرُ الْفَنِّيُّ فُنُونًا مُتَنَوِّعَةً مِثْلُ الْقِصَّةِ وَالرَّوَايَةِ وَالْمَقَالَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالسَّيْرَةِ وَغَيْرِهَا. وَيُعْرَفُ بِأَنَّهُ الْكَلَامُ الْفَنِّيُّ الْجَمِيلُ الَّذِي يَنْتَقِي فِيهِ الْكَاتِبُ الْأَلْفَاظَ الْجَيِّدَةَ وَالْوَاضِحَةَ وَالْأَسْلُوبَ الْمُؤَثَّرَ لِتَقْدِيمِ فِكْرَتِهِ أَوْ مَوْضُوعِهِ.

وَالنَّثَرُ - بِنَوْعِيهِ الْفَنِّيِّ وَغَيْرِ الْفَنِّيِّ - خِلَافًا لِلشَّعْرِ لَيْسَ لَهُ أَوْزَانٌ أَوْ قَوَافٍ، وَقَدْ تَعَرَّفْتَ فِي دِرَاسَتِكَ السَّابِقَةِ إِلَى أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهُ، مِثْلُ الرِّسَالِ وَالْوَصَايَا وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَابَةِ وَالْمَقَامَةِ، وَهِيَ مِنَ الْفُنُونِ النَّثَرِيَّةِ الَّتِي عَرَفَهَا الْعَرَبُ قَدِيمًا، فَضْلًا عَنِ الْقِصَّةِ وَالرَّوَايَةِ وَالْمَسْرُوحَةِ وَالْمَقَالَةِ وَهِيَ مِنَ فُنُونِ النَّثَرِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَبْرَ التَّرْجُمَةِ.

بَعْضُ أَنْوَاعِ النَّثَرِ الْفَنِّيِّ انْحَسَرَتْ عَنِ السَّاحَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْيَوْمَ كَالْمَقَامَةِ وَالْوَصَايَا وَالْأَمْثَالِ، وَكَذَلِكَ الْخُطَابَةُ الَّتِي بَاتَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَى جَوَانِبِ حَيَاتِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ كَالْخُطَبِ الدِّينِيَّةِ.

وَالْخُطَابَةُ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الْفُنُونِ النَّثَرِيَّةِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي عَرَفَهَا الْعَرَبُ مِنْذُ الْقَدَمِ، كَمَا عَرَفْنَاهَا الْأُمَمُ الْأُخْرَى؛ لِمَا لَهَا مِنْ أَهْمِيَّةٍ فِي التَّأْثِيرِ فِي الْجَمَاهِيرِ لِشَحْذِ هِمَمِهِمْ، أَوْ تَشْجِيعِهِمْ عَلَى خَوْضِ غِمَارِ الْمَعَارِكِ بُغْيَةً رَدِّ الْأَعْدَاءِ الْمُتْرَبِّصِينَ، وَالدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ وَالْوَطَنِ، وَلَا تَكُونُ الْخُطَابَةُ إِلَّا بِحُضُورِ الْجُمْهُورِ.

وَيُشْتَرَطُ أَنْ تَتَوَافَرَ فِي الْخُطِيبِ مَزَايَا عِدَّةٌ، مِنْهَا سَلَامَةُ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَوُضُوحُهَا، وَالصَّوْتُ الْجَهْورِيُّ الْقَوِي، فَضْلًا عَنِ النَّقَافَةِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْخُطِيبِ أَنْ يَمْتَلِكَهَا

عَنِ الْمَوْضُوعِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الشُّرُوطِ، تَبْقَى الْخُطَابَةُ مَوْهَبَةً فِطْرِيَّةً تُؤَلَّدُ مَعَ الْخُطِيبِ وَتَنْمِيهَا الْمَوَاقِفُ وَالْبَيْئَةُ.

وَقَدْ تَطَوَّرَ هَذَا الْفَنُّ بَعْدَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَهْمِيَّتِهِ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبَيَانِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَازْدَادَتْ أَهْمِيَّتُهُ فِي الْعُصُورِ التَّالِيَةِ؛ إِذْ أَخَذَ أَتْبَاعُ الدُّوَلِ الْجَدِيدَةِ بِالْدَّعْوَةِ لَهَا عَبْرَ الْخُطْبِ.

أَمَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ فَقَدْ نَهَضَ هَذَا الْفَنُّ بُهُوضِ الْأُمَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَمَطَّلَعَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَلَاسِيَّماً بَعْدَ قِيَامِ الثَّوَرَاتِ ضِدَّ الْمُحْتَالِينَ، فَبَرَزَ عِدَّةٌ مِنَ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ تَأْثِيرٌ فِي السَّاحَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مِثْلُ أَحْمَدِ عَرَابِي وَسَعْدِ زُغْلُولٍ فِي مِصْرَ، وَفِي الْعِرَاقِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رِضَا الشَّيْبَانِي الَّذِي دَرَسَتْ خُطْبَتُهُ فِي الصَّفِّ الثَّلَاثِ الْمَتَوَسِّطِ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْحُسَيْنِ كَاشِفُ الْغَطَاءِ الَّذِي جُمِعَتْ خُطْبُهُ عَنِ الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي كِتَابٍ بِعَنْوَانِ (قَضِيَّةُ فِلَسْطِينَ الْكُبْرَى فِي خُطْبِ الْإِمَامِ الرَّاحِلِ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ)، وَلَا نَنْسَى أَنَّ ثَوْرَةَ الْعِشْرِينَ فِي الْعِرَاقِ أَفْرَزَتْ عِدَّةً كَبِيرًا مِنَ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُودُونَ الْجَمَاهِيرَ لِمُقَاوَمَةِ الْمُحْتَالِ الْبَرِيطَانِيِّ.

غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْفَنَّ بَدَأَ بِالْانْحِسَارِ فِي نَهَايَاتِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ وَمَطَّلَعَ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ حَتَّى كَادَ يَقْتَصِرُ عَلَى الْخُطْبِ الدِّينِيَّةِ كَخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَخُطْبِ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ.

وَإِذَا كَانَتِ الْخُطَابَةُ مِثْلَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُنُونِ النَّثْرِيَّةِ الَّتِي أَخَذَتْ بِالْانْحِسَارِ فِي الْأَوْسَاطِ الْأَدَبِيَّةِ، فَإِنَّ ثَمَّةَ فَنُونًا أُخْرَى أَخَذَتْ بِالِانْتِشَارِ فِي الْأَوْسَاطِ الْأَدَبِيَّةِ كَالسِّيَرَةِ بِنَوْعِهَا الدَّائِيَّةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ.

أَسْئَلَةُ الْمَنَاقَشَةِ:

١- عَرِّفِ النَّثْرَ، وَبَيِّنْ أَوْجَةَ الشَّبَهِ وَالْاِخْتِلَافِ بَيْنَ نَوْعَيْهِ: الْفَنِّيِّ وَغَيْرِ الْفَنِّيِّ.

٢- بِرَأْيِكَ مَا سَبَبُ انْحِسَارِ بَعْضِ فُنُونِ النَّثْرِ الْيَوْمَ؟

٣- مَا تَعْرِيفُ الْخُطَابَةِ؟ وَمَا الصِّفَاتُ الَّتِي يَنْبَغِي تَوَافُرُهَا فِي الْخُطِيبِ؟

القِصَّةُ القَصِيرَةُ (النَّشْأَةُ وَالتَّطَوُّرُ)

القِصَّةُ بوجهٍ عامٍّ حكايةٌ، والحكايةُ هي أن يرويَ إنسانٌ لآخرينَ ما رأى أو سمعَ أو تصوَّرَ، وهي على هذا قديمةٌ بقدم المجتمع الانساني؛ لأنها طبيعيةٌ في الحياة، تُلبِّي حاجةً في نفسِ الرَّاوي ونفوسِ السامعين. وقد مرَّتْ بأطوارٍ وتجارِبٍ وبقيتْ طويلاً قريبةً من هذا المعنى عندَ عامةِ الشعوبِ، وبعدَ تلكَ الأطوارِ التي مرَّتْ بها والتَّجارِبِ والاهتمامِ أَصْبَحْنَا أَمَامَ لَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَلْوَانِهَا تَمَثَّلُ بالقِصَّةِ القصيرةِ بمفهومِها الحديثِ، إذ أَصْبَحَتْ تعبيراً عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَحْدَاثِ قَدْ تَنَنَّاوُلُ شَخْصِيَّةً مُعَيَّنَةً أَوْ أَكْثَرَ، ترتبطُ بعلاقاتٍ وأحداثٍ يقومُ الراوي بترتيبها في مُدَّةٍ زمنيةٍ قصيرةٍ بصورةٍ مشوّقةٍ، وقد يستعملُ الكاتبُ أساليبَ الحوارِ والسَّردِ فيها، وهي أَقْصَرُ مِنَ الرِّوَايَةِ، وبسببِ قصرِها لا تتناولُ إِلَّا جزءاً محدوداً مِنْ حَادِثَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ شَخْصِيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الجزئياتِ، فكرُثُها بسيطةٌ، وحدثُها واحدٌ محدَّدٌ يتناولُ جانباً مِنَ الحياةِ، فليسَ مِنْ شأنِها تنميةُ أحداثٍ وبيئاتٍ وشُخُوصٍ، كما هي الحالُ في الرِّوَايَةِ -التي ستتعرفُ إليها فيما بعدَ، وإنَّما تُوجِزُ في لحظةٍ واحدةٍ حدثاً ذا معنى ينشأ مِنْ موقفٍ معيَّنٍ عميقِ الدلالةِ والإيحاءِ.

ظَهَرَتِ القِصَّةُ القصيرةُ في القرنِ التَّاسِعِ عشرَ، ومن أهم كتابها (موباسان) في فرنسا و(تشخوف) في روسيا و(إدجار آلن بو) في أمريكا. وقد اطلَّعَ العربُ في هذا القرنِ على الأدبِ الغربيِّ، فألهمَهُمُ هذا اللونُ مِنَ القِصَّةِ الحديثةِ، ورأوا المكانةَ الشامخةَ الَّتِي تحتلُّها، وألَّموا بالصفَّاتِ الَّتِي تُميِّزُها وتأنَّثروا بها فكَتَبُوها، وهذا لا يَسْتَبْعِدُ أَنْ نجدَ أصولَها في الثَّرَاثِ العربيِّ، بلْ يُمكنُ أَنْ تُعَدَّ السَّيْرُ والمقاماتُ والحكاياتُ والأساطيرُ والنوادرُ مِنْ أصولِها، ولكنَّ القِصَّةَ القصيرةَ بمفهومِها الحديثِ نشأتْ في الغربِ.

شهدتِ القِصَّةُ القصيرةُ مرحلةً متقدمةً على يدِ الكاتبِ المصريِّ (محمود تيمور) (١٨٩٤م-١٩٧٣م) والكاتبِ العراقيِّ (محمود أحمد السيد) (١٩٠٣م-١٩٣٧م)، فقد كانَ محمود تيمور على صلةٍ قويةٍ ومباشرةٍ بالثقافةِ الأوربيةِ منذُ وقتٍ مبكرٍ، نشرَ

قصصه القصيرة في صحيفة (الشفور) وهي قصص عدّة في موضوعات مختلفة، كل واحدة قائمة بنفسها، حاول فيها أن يتعاش مع الطبقات الشعبية، يدرس أفكارها ورغباتها، ويتعرف عن قرب إلى نقائصها ومعايبها ليجعل من قصصه صورة صادقة للحياة حيّة مقنعة، فجاءت فتحة جديدة، وحلّت بإسهاب نفسيات الطبقة الدنيا من المصريين وأخلاقهم، وأبانت أشياء كانت خفية بأسلوب شائق ولغة مبسطة، فتقدمت على يديه القصة القصيرة خطوات واسعة.

كان محمود تيمور، وتوفيق الحكيم وعميد الأدب العربي طه حسين من الطبقة الأولى من أدباء مصر الذين احتلوا المنزلة العالية ورفعوا الفن القصصي، ثم لمعت أقلام جديدة في مصر منها: إحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس.

وفي العراق كان رائد القصة (محمود أحمد السيد)؛ إذ كان متأثراً أشد التأثر بما حاق بالبلاد من أخطار عبر عنها تعبيراً واضحاً في أعماله، مثل: (في ساع من الزمن) و(جلال خالد) و(النكبات) و(مجاهدون)، وتبعه آخرون، مثل: سافرة جميل، وجعفر الخليفي، وذو النون أيوب. بعد ذلك ظهر عبد المجيد لطفي، وشاكر خصباك، وعبد الملك نوري، وفؤاد التكرلي، وعبد الحق فاضل، ومهدي عيسى الصقر، ومحمود عبد الوهاب، ومحمد خضير، ومحمود جنداري، وجيل القيسي، وموسى كريدي، وديزي الأمير، ولطفية الدليمي، وميسلون هادي، ومي مظفر وغيرهم كثير.

وفي بلاد الشام اشتهر بها عدد من الكتاب، في لبنان: ميخائيل نعيمة، ومارون عبود، وفي سوريا: الدكتور عبد السلام العجيلي، وزكريا تامر، وأمّا في فلسطين فمن أبرزهم غسان كنفاني، وعلي زين العابدين.

وفي المغرب العربي ظهر محمد زفزاف وعبد الجبار السحيمي والطاهر وطار، وفي السودان الطيّب صالح.

فؤاد التكرلي:

قاصٌّ وروائيٌّ عراقيٌّ وُلِدَ في بغدادَ في عام (١٩٢٧م)، ودرسَ في مدارسِها، وتخرَّجَ في كليةِ الحقوقِ عامَ (١٩٤٩م)، تولَّى مناصبَ عدةٍ في الدَّولةِ ومنها في القضاءِ العراقيِّ؛ إذ عُيِّنَ قاضيًّا عامَ (١٩٦٤م). ألَّفَ القصصَ والرواياتِ بأسلوبٍ إبداعيٍّ متميزٍ؛ لأنَّها مثَّلتْ ببنائِها أنموذجًا للرواياتِ الكلاسيكيَّةِ الحديثةِ. ومن أبرزِ أعمالِه روايةُ (الرَّجْعُ البعيد) التي أسَّستْ لخطابِ روائيٍّ متميزٍ وأرَّختْ لحِقبةٍ تاريخيةٍ مهمَّةٍ في الحياةِ العراقيَّةِ، وكانتْ مُفعمةً بالروحِ والأعرافِ الشَّعبيةِ، وكلَّ طقسٍ اجتماعيٍّ لأهلِ بغدادَ حينها.

نشرَ التَّكرليُّ أوَّلَ قصصه القصيرةِ عامَ (١٩٥١م) في مجلةِ الأديبِ اللبنانيِّ، ولمْ ينقطعْ عَنَ نشرِ قصصه في الصُّحفِ والمجلاتِ العراقيَّةِ والعربيَّةِ، فنشرت في مجموعةِ الأعمالِ الكاملةِ.

مِنَ أعمالِه الأدبيةِ في الروايةِ: الوجهُ الآخرُ (١٩٦٠م) والرَّجْعُ البعيدُ (١٩٨٠م) وخاتمُ الرَّمْلِ (١٩٩٥م) والمسراتُ والأوجاعُ (١٩٩٨م)، وله مجموعتانِ قصصيتانِ هما: موعدُ النَّارِ (١٩٩١م) وخزيرُ اللامرئياتِ (٢٠٠٤م). توفِّيَ التَّكرليُّ في الأردنِ عامَ (٢٠٠٨م) على إثرِ مرضٍ عضالٍ.

أنموذجٌ مِنَ القِصَّةِ القصيرةِ «البابُ الآخرُ» (الدرس)

اعتدتُ يومذاك أن أقولَ لها:

- لا تشندي هكذا في تعنيفه، فالطفُّ ليسَ حسَّاسًا وذكياً حسب، بل ينتابُه ضعفٌ وتساورُه الهواجسُ على غيرِ العادة.

ولم تردُّ أن تفهمَ كلامي، مثلما لم تردُّ أن تقتربَ من لغزِ وجوده، جاءها متفتحَ الأساريرِ، ذاتَ عصرٍ، فهتفت:

- يا أُمِّي العزيزة، لقد شاهدتُ باباً في غايةِ الجمالِ يقعُ بينَ الرِّقمِ (١٧) والرِّقمِ (١٩). هل تتصورينَ هذا؟

- وماذا في ذلك يا بُني؟ إِنَّهُ البابُ ذو الرَّقْمِ (١٨).
- وَلَكِنَّكَ لَا تَفْهَمِينَ جَيِّدًا يَا مَآمًا. أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّ أَرْقَامَ الشَّوَارِعِ تُقَسَّمُ عَلَى أَرْقَامٍ فَرْدِيَّةٍ عَلَى جِهَةٍ وَأُخْرَى زَوْجِيَّةٍ عَلَى الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ؟ هَذَا تَقْلِيدٌ قَدِيمٌ، وَأَنْتِ لَا تَعْرِفِينَهُ.
- لَا تُجْهَلْنِي هَكَذَا. مَاذَا تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ؟ عَجَلٌ بِالْكَلامِ.
- إِنَّهُ ذَلِكَ البابُ الجميلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ رَأَيْتُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ. لَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَطْرُقَهُ.
- لَا تُعْذِرِي عَلَيَّ أَقْوَالَكَ هَذِهِ. أَنْتِ لَا تَطْرُقُ أَبْوَابَ بِيُوتِ الْغُرَبَاءِ مُطْلَقًا هَلْ فَهَمْتَ؟
- لِمَاذَا يَا أُمِّي؟ بَدَأَ لِي بِأَبَا مُزُوقًا وَجَمِيلًا جَدًّا.
- لِأَنِّي لَا أَرِيدُكَ أَنْ تَطْرُقَ أَبْوَابَ النَّاسِ الْغُرَبَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.. هَلْ فَهَمْتَ؟
- وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْأَلَ لِمَاذَا، أَيْضًا؟
- بِالتَّأَكِيدِ يَا وَلَدِي. دَعْنَا نَرِ الْآنَ، تَعَالَ مَعِي لِنَطَّلَعَ عَلَى آخِرِ اخْفَاقَاتِكَ فِي الدُّرُوسِ.
- وَلَمْ تَكُنْ فِي نَظَرَتِهِ إِلَيَّ غَيْرُ شَكْوَى لَا تَحِبُّ أَنْ تُعْلَنَ عَنْ نَفْسِهَا وَهُوَ يَسْتَسْلِمُ لَهَا تَسْحُبُهُ إِلَى غُرْفَتِهِ الصَّغِيرَةِ.
- وَجَرِيًّا عَلَى عَادَاتِهَا، وَكَمَا تَوَقَّعْتُ، ارْتَفَعَ صَوْتُهَا بِغَضَبٍ أَوَّلَ الْأَمْرِ حِينَمَا لَمْ يَتَعَرَّفْ، كَمَا يَبْدُو، الْأَعْدَادَ الْكُبْرَى مِنَ الصَّغْرَى، ثُمَّ انْقَلَبَ الصَّوْتُ الْغَاضِبُ إِلَى صَرَاحٍ عَالٍ مَتَشَنِّجٍ، بَعْدَ قَلِيلٍ كَانَ وَجْهُهَا مُحْتَقِنًا، بِحُمْرَةٍ بِنَفْسَجِيَّةٍ قَاتِمَةٍ، وَهِيَ تَضُمُّ قَبْضَتَيْهَا الْمَتَشَابِكَتَيْنِ إِلَى صَدْرِهَا، فِي حِينٍ رَكَزَ الطِّفْلُ عَيْنَهُ فِي صَفَحَاتِ كِتَابِ الرِّيَاضِيَّاتِ الْمَفْتُوحِ، لَمْ تَفْهَمْ مَنِّي، لَا قَبْلًا وَلَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ مَا كُنْتُ أَرُدُّهُ عَلَيْهَا بِأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَهُ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ عَلَى أَسَاسِ نَوْعٍ مِنَ الْإِحْتِرَامِ الْمَخْفِيِّ. كَانَ ابْنُهَا فَقَطُّ، كَمَا تَعْتَقِدُ، وَلَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي الْعَالَمِ أَنْ يَشَارِكَهَا فِي حُبِّهِ وَفِي تَعْذِيبِهِ كَمَا تَتَشَاءُ، مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحُبِّ. وَلَئِنِّي لِأَسْبَابٍ غَامِضَةٍ، كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَعْذِيبَنِي ذِكْرِيَّاتٍ مُؤْلَمَةٍ، فَقَدْ اكْتَفَيْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ مُحْذَرًا وَمَنْبَهًا وَمَتَعَاظًا مَعَ النُّظَرَاتِ الْبَرِيئَةِ الشَّاكِيَةِ.
- كَانَتْ حَالُنَا بَعْدَ ذَلِكَ تَسَوُّوْا وَتَكَادُ تَنْفَصِّمُ رَغَمَ تَفَاهَةِ الْأَسْبَابِ، وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَطْفَالَ يَكْذِبُونَ بِتَلْقَائِيَّةٍ وَيَخْتَلِقُونَ التَّصَوُّرَاتِ ثُمَّ يَنْسَوْنَ كُلَّ شَيْءٍ لَكِنَّهُ بَعْدَ أَيَّامٍ وَنَحْنُ نَعُودُ مَعًا مِنَ الْمَدْرَسَةِ أَشَارَ إِلَى جِهَةٍ مَا فِي الشَّارِعِ ..

- انظر يا أبي. انظر جيداً هناك. ألم أقل لك؟

كانت أبواب البيوت واضحة وهي تتبع تسلسلها المعتاد: (١٥)..(١٧)..(١٩).

- أتقصد ذلك الباب الجميل الذي حدثت والدتك عنه؟

- نعم، نعم. هو ذا. أنت تراه معي وستخبر أمي بأنك رأيته كما أراه.

فأدركت أن سوءاً من نوع خاص لا أعرفه يحيط بنا وبهذا الطفل العزيز، كانت عيناه مثل بحيرتين زرقاوين متسعيتين منبهرتين تشعان بفرح مضيء.

- ستخبرها يا أبي بأنك رأيته معي ورأيت كم هو جميل، ستخبرها أليس كذلك؟ قل لي.

شدت على كفه الصغيرة الناعمة وتظاهرت بأنني أرى شيئاً لا أراه في الحقيقة وابتسمت مخفياً شكوكي.

دخل البيت كالمنتصر في حرب خاطفة. فرمى حقيبته المدرسية جانباً وهتف بوالدته:

- انظري يا أمي، لن تصدقي ما سأقوله لك. لقد شاهدنا الباب أنا وأبي. شاهدناه معاً؛

ورأى بعينه مثلي كم هو جميل وفي غاية الجمال، استمعي إليه سيخبرك.

- لا تلعب معي لعبتك القديمة هذه، هات محفظتك واذهب اغسل يديك ووجهك ودعنا

نفطر بهدوء بعيداً عن أبوابك اللامرئية.

- لا مرئية، ما هذا؟ ولكنه رأه مثلي، أقول لك لماذا لا تصدقيني؟

- لأنك لا تميز الأعداد الصغيرة من الكبيرة.

- ما معنى ذلك؟

- معناه أنك لا ترى جيداً بعينك.

فأطلق ضحكته الرنانة الطفولية واحتضن أمه:

- لقد رأه معي يا أمي الحبيبة. رأيناه معاً؛ وسأطرقه يوماً ما لينفتح لي على العالم

الجديد وراءه.

قبَّلته عديد القبل وهي تشده إليها مسترسلة بالضحك معه؛ غير أن وعي السعادة

المتوازنة يتطلب الحرص عليها واحاطتها بالعناية، فإذا استسلمنا لمشاعر البطر

وساورنا الاعتقاد الخاطيء بأن الأمور باقية ومستقرة، نكون خربنا بحمق ما يملكه

الإنسان الفرد من قابليات الفرح والانتشاء.

لم يرضَ طفلنا أن يترجعَ عمّا يراه رأي العين، وأصرَّ على أننا نرى مثله ولكننا ننكرُ ذلك لأسبابٍ لا يعرفها؛ واستنادًا إلى طريقةٍ في التعليم غير ملائمةٍ تمامًا، تعاونتُ مع رؤاه غير معترفٍ بها، اندفعتُ هذه النفسُ الطريّة بعيداً عن المسالك الطبيعية.

تباطأ مسيرُ حياته واختلطَ تمرُّدُه الطفولي بعدمِ اكتراثٍ مطلقٍ؛ فلا النصائحُ تنثيرُ اهتمامه ولا الكلماتُ الزّاجرةُ أو الصّراخُ، واستطالَ وقوفُه في الشّرفة المظلة على جانبٍ من شارعِ المثير. سألني مرة:

- أليسَ عجباً يا أبي، ذلك البابُ الرَّائعُ يستقرُّ بينَ رقمين لا يقبلانِ القسمةَ على أيِّ عددٍ؟

- يقبلانِ القسمةَ على نفسيهما وعلى العددِ واحدٍ.

- أترى ما أعجبَ هذا إنهما واحدٌ يتكرّرُ باستمرارٍ.

- وما معنى ذلك؟

- استنارَ وجهه الصغيرُ المدورُ بابتسامةٍ مرتبكةٍ:

- كيفَ يمكنني أن أعلمَ أنا؟ ظننتُ بأنك أنتَ الذي يعلمُ بأنّ الواحدَ

هو الواحدُ الأحدُ، وهو إذا يتكرّرُ ويتكرّرُ فلائّه ينادي يا أبي. إنّه ينادينا.

- لماذا تشغلُ نفسك بهذه الأمورِ الغامضةِ يا بُني وتهملُ طعامكَ ودروسك؟ انظرُ إلى

والدتك، كيفَ تشقيها بتصرفاتك؟

لبثَ، لحظات، صامتاً ساهماً: ثم استدارَ بنظرِهِ نحوَ الشارعِ..

- أمس يا أبي، يجبُ أن أقولَ لك..

همسَ دونَ أن يلتفتَ ..

- يجبُ أن أقولَ لك بأنّي طرقتُ ذلك البابَ الذي يفتنني بجماله.

- آه؟

- وأدارَ رأسه وفي عينيهِ نظراتُ تساؤلٍ وخيبةٍ أملٍ:

- لم يجبني أحدٌ.

- آه؟

- كيف يمكن يا أبي ألا يجيب أحد؟
 - ربّما لم يكن هناك من يستطيع أن يجيب.
 - أتراهم مشغولين بما هو أهم من إجابة الطارقين على الأبواب؟
 - ربما.
 - ولعلّهم في مرة ثانية.. أنتظنّ؟.. لعلّ بإمكانهم أن يتفرغوا قليلاً لهؤلاء الطارقين.
 - ربما. لم لا؟
 - ثمّ أمسكت به ورفعته إلى صدري فاحتضنني بشوقٍ وقبّلني في وجنتي قبلتين:
 - أنت تحبّني يا أبي.
 - وكذلك والدتك.
 - وكذلك والدتي. أحبّ أن أراها الآن.
 - هي تنتظرك في غرفتها.
 - أم لعلّها في المطبخ، تعدّ لنا فطوراً شهياً.
 - أنت جائع؟ أسرّع إليها إذن.
- وينسى وننسى ولم لا؟ وتمضي بنا الأيام، فيستردّ صحته خلال أسابيع ويجتاز امتحانه بقليل من المشقة. ثمّ لا بدّ أن تُحسب علينا الأزمان؛ إذا لا يترك الإنسان ليخلد بهدوء معه شؤونته الصّغيرة العزيزة وسعادته الخفيّة ويأتي ذلك المساء من بداية الصّيف حين يرجوني أن نقوم بنزهة قصيرة في الأنحاء. كانت الشمس على طرف الأفق، تلوّنه بأشعتها المتغيرة الحمراء، والهواء ندياً على غير العادة؛ فباركت لنا والدته هذه المسيرة وشجعتنا عليها.
- سرّنا الهوينى طويلاً، على غير هدّى أو هذا ما خيّل إليّ؛ ذلك أنّنا، بعد انعطافه من زقاق ضيق، خرجنا، على حين غرّة، إلى شارع الذي كان لا شكّ يبحث عنه بإصرار. وكما توقعت، تباطأنا بمواجهة تلك الأبواب ذات الأرقام السحرية، ثمّ توقّفنا آخر الأمر حيث أراد. رفع نظره إليّ وهو يبتسم ابتسامة لم أفهمها وضغط على يدي بأصابعه الرقيقة:

- هل تسمح يا أبي؟ سأجربُ طرقَ البابِ مرةً أخرى؛ إذ منْ يدري..

- أيُّ بابٍ يا بني؟

- أتمازحُني؟ هذا الذي قُدامنا، بكلِّ جلالِهِ. إنِّي أطرفُهُ.

كانتْ أشعةُ الشَّمسِ البنفسجيةُ الزَّرْقَاءُ تتماوجُ بشكلٍ غيرِ مألوفٍ حولنا وعلى الجدرانِ والأشجارِ والمارة، وكأنَّها ألحانُ موسيقى تنبثقُ ثمَّ تختلطُ فيما بينها وتختفي؛ وكنتُ موزَّعِ النَّفسِ بينَ خوفي على ولدي وغبابةٍ ما يحيطُ بي من أجواءٍ ورفع، مع كلماتِهِ الأخيرة ذراعًا نحيلةً وبدا لي كأنَّه يهْمُ فعلاً بالطَّرْقِ على شيءٍ ما أمامَهُ؛ وخلال ثوانٍ حلميةٍ ومع حركتِهِ تلكِ انسَابَ بليْنٍ ولطفٍ لا مثيلَ لهما إلى الأمامِ وتماهى بغموضٍ في الفضاءِ بيني وبينَ الجدارِ الأصمِّ. مثلَ هبةٍ دخانٍ لا لونَ لها مثلَ انغمارِ طائرٍ في الماءِ. مثلَ لهاثٍ حارٍّ في ليلةٍ شتاءٍ، مثلَ شيءٍ بهيمٍ هو لا شيءَ.

كانَ ذلكَ في عهدِ سلفٍ؛ في عهدِ الأوانِ والبسماتِ والأحزانِ في عهدِ الهناءِ الغالي الذي لا يأتي مرتينِ. ومنْ بعدِ ما انكسرتْ حياتُنا، أنا ووالدتهِ فلا هي تصدِّقُ ما أخبرْتُها ولا أنا أصدِّقُ نفسي. تحتَمُّ أنْ يعيشَ كلُّ منا في شقائِهِ على انفرادٍ؛ وكانَ ذلكَ بالنسبةِ لي مدخلًا سرِّيًّا إلى الجحيمِ فكيفَ يمكنُ للإنسانِ أنْ يحيا بشكلٍ سويٍّ حينَ لا يتوصَّلُ إلى تصديقِ نفسه؟

تحليلُ النصِّ:

بعدَ أنْ قطعَ المنتجُ القصصيّ العراقيُّ أشواطًا كبيرةً نحوَ التَّميُزِ والتَّفَرُّدِ؛ ولا سيَّما على المستوى العربيِّ، زادتْ وتيرةُ التَّنَافُسِ الإبداعِيِّ للقصصِ العراقيِّ بينَ جملةٍ مِنَ القاصينَ مستعِينينَ بالمخزونِ الثقافيِّ للتراثِ والامتثالِ للبيئةِ العراقيةِ المُفَعِّمةِ بالحوادثِ والأعرافِ والتقاليدِ، وانفتاحِ المثقفِ والمبدعِ العراقيِّ على المنتجِ الجديدِ الَّذي أعطاهُ رغبةً وميولًا نحوَ المواقبةِ والسَّيرِ على هَدْيِ الأفكارِ الجديدةِ في النّسجِ البنائيِّ للنصِّ القصصيّ مع رغبةٍ واضحةٍ في إظهارِ الصُّورةِ الموضوعيةِ المحليَّةِ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ.

وَمِنَ الْكُتَّابِ الْمُبْدِعِينَ الَّذِينَ أَبَدُوا اهْتِمَامًا ملحوظًا بتشخيص المشكلات والأمراض الاجتماعية المحيطة بهم، ومُحاولة معالجتها في أدبهم (فؤاد التكرلي) في جُملة أعماله؛ ولا سيَّما في قصَّته (الباب الآخر) التي يُبدي اهتمامه فيها بالجانب الأسري؛ إذ تدور أحداثها في إطار الأسرة وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض؛ ولا سيَّما علاقة الأم بابنها وما تؤول إليه أساليب تعامل الأم معه مِنْ نتائج. ويكشف الكاتب عن تلك الأحداث عبر الحوار الذي جعله عنصراً مفتاحياً من بداية القصَّة، لينطلق به نحو غايته التي سيبتُّها في عموم النصِّ. إنَّ العلاقة القائمة بين الصَّغير (الابن) وأُمِّه يشوبها شيءٌ مِنَ الاضطراب والالتباس، وهو ما أمكننا أن نلاحظه مِنْ اهتمامها المفرط الذي تُبديه بالجوانب التعليمية وإهمالها الجوانب النفسيَّة التي كثيرًا ما حدَّرَ أياها والدُّه مُشيرًا إلى أنَّها ستقودها إلى نتائج غاية في السُّوء. فالتأنيب والتكذيب ورفض الأفكار الجديدة وإن كانت صغيرةً تؤثِّر سلبًا في الطِّفل، وتجعل المجتمع القادم أمام مازقٍ لا يستطيع الخروج منه أبدًا. وقد كشف الكاتب عن هذا -وما سيأتي مِنْ أحداثٍ- عبر الحوار بين الأم وابنها، وسرَّد ما كان يُبديه مِنْ نصائح تجاه تعاملها مع الصَّغير. وقد قدَّم التكرلي شخصياته إلى المُتلقي بطريقة ذكيَّة غير مُباشرة عبر الرَّاي (الأب) وسرِّده الأحداث وهو راوٍ من داخل القصَّة. وبالحوار بيَّن توجُّه الأم والابن مِنْ جهة، والأب والابن مِنْ جهةٍ أُخرى.

تَمَكَّنَ الكاتب مِنْ توظيف العنوان (الباب الآخر)، وتعلُّق الصَّغير (الابن) بهذا الباب الجميل المُنمَّق وعبارة (أنَّه لم يكن قد رآه قبل) علامةً على رحيله إلى العالم الجديد، بعد أن أعلن الكاتب مرضه مُنذُ البدء بعبارة: (بل ينتابُه ضعف) مؤكِّدًا ذلك بعد سير الأحداث ومشارفة القصَّة على النِّهاية بقوله: (فيستردُّ صحته خلال أسابيع ويجتاز امتحانه بقليلٍ مِنَ المشقة. ثمَّ لا بدَّ أن تُحسب علينا الأزمان؛ إذ لا يُترك الإنسان ليخلد بهدوءٍ معه شوؤُهُ الصَّغيرة العزيزة وسعادته الخفيَّة)، والأم لا تُصدِّق صغيرها والأب يؤمن به ولم يتمكن مِنْ رؤية ذلك الباب، إلَّا أن الصغير يؤكِّد أنَّه سيطرُّفه يومًا.

والعلاقة بين الأب والصغير كشفت عن موضوع القصة؛ فلا بد من مسوغات وتعليقات تتيح للقارئ فهم تطوّر البناء الدرامي للأحداث، فعندما يأخذ الأب دور راوي الأحداث ويتقاسم البطولة مع الصغير يُحاول التركيز في المضامين التي تستفز المتلقي، ويحاول إلفات نظره إلى عنوانات خاصة بالسلوك وما تؤول إليه من نتائج، ومن فهم هذه العلاقة يفاجئنا الراوي (الأب) بأن هذه القصة محض تصورات وتخيلات كان يعيش فيها الأب، ناتجة عن الضغوط النفسية التي خلفها رحيل صغيره الذي حول حياتهما إلى جحيم جديد، عبّر ما قرّره في نهايتها بقوله: (كان ذلك في عهد سلف؛ في عهد الأوان والبسمات والأحزان في عهد الهناء الغالي الذي لا يأتي مرتين).

وقد تمظهرت جماليات النصّ في طريقة سرد الأحداث وتقديمها للمتلقي بالطريقة غير المباشرة عبّر راو (الأب) من داخل القصة والحوار كذلك، وعبر الاستعمال الرمزي المتمثل بـ (الباب، والطفولة، والأم) وطريقة توظيفه بأسلوب سهل واضح لا يجد معه القارئ أي عناء في التلقي والاستيعاب، في الوقت الذي نجد أبعاد الموضوع تأخذنا إلى عالم خيالي مسنود بأسس سلوكية واقعية في الأسرة العربية، ولا سيما بعض الأسر العراقية التي ما زالت تُصرّ على بناء حياتها من دون أن تلتفت إلى هذه السلوكيات وما تُخلفه من عواقب نفسية، وبهذا استطاع الكاتب النجاح في التنبيه وصرف ذهن القارئ نحوها.

أسئلة المناقشة:

- ١- ما الذي يُبديه التكرلي في قصته (الباب الآخر)؟ وكيف؟
- ٢- كيف تُقيم موقف الكاتب من علاقة الأم بابنها؟
- ٣- أعلن التكرلي عن مرض الصغير في موضعين من القصة، اذكرهما.
- ٤- ماذا تمثل رؤية الصغير للباب الجميل؟
- ٥- بأي طريقة قدّم التكرلي أحداث قصته؟ ومن الراوي؟ وعلام ركّز فيها؟
- ٦- أين تمظهرت جماليات قصة الباب الآخر لفؤاد التكرلي؟